

كبار السن والتكنولوجيا .. شر لا بد منه



أن تتعلّمها متأخراً خير من ألا تتعلّمها أبداً

كما فرضت التكنولوجيا معطياً لها على صغار السن وبرعوا فيها، فرضتها أيضاً على كبار السن ليتعلّموا معها ويفكوا شيفراتها ويلحقوا بالركب رغم أنف العمر. فهي أسهمت في تطور الحياة وسرعة إنجاز الأعمال، وسرعان ما أصبحنا نعتمد عليها في كل جوانب حياتنا بعد أن وفرت الجهد والوقت والمال.

كشفت دراسة حديثة أعدتها إحدى الشركات الإيطالية حول استخدام الإنترنت بين الكبار (فوق 74 عاماً)، أن "كبار السن أصبحوا ينافسون الشباب في مهارات الإنترنت، وفي تمضية وقت طويل أمام الكمبيوتر، وأن استخداماته أصبحت أكثر شعبية بين جميع الفئات العمرية". كما وجدت الدراسة أن "مستخدمي الإنترنت الذين تزيد أعمارهم على 34 عاماً" مما فوق، أكثر إنحرافاً في أنشطة عدة عبر الإنترنت من خلال زيارة الواقع الحكومية، والحصول على المعلومات المالية عبر الإنترنت". وأوضحت أن "أسرع معدل نمو في عدد مستخدمي الإنترنت، كان لمن هم فوق سن 74 عاماً، وأن استخدام مواقع الشبكات الاجتماعية تضاعف أربع مرات منذ عام 2008، وأن معظم الباحثين عن المعلومات الصحية على الإنترنت هم من كبار السن".

- علاقة شبه معدومة:

ثمة تجارب خاضها كبار السن مع التكنولوجيا، فمنهم من سعى بنفسه إلى التعلم من خلال الدورات وإكتساب المهارات، ومنهم من طلب المساعدة من أبنائه، وهذا ما حدث مع الدكتور أحمد الكبيسي (76

عاماً)، الذي يقول: "إن" علاقتي بالتقنولوجيا شبه مدعومة، حيث إنني لا أقوم بتصفح الإنترنت والدخول إلى الواقع الاجتماعية إلا بمساعدة أبنيائي، فقد تعودت أنا وجيلى على أدواتنا القديمة والتقليدية في الكتابة، وكذلك في البحث من خلال الكتب". يضيف د. الكبيسي: "إلا أن" هذا لا يعني أن يتخلى الإنسان عن المعرفة في الكبير، فلابد من المحاولة والسعى إلى طلب العلم، لأن ديننا يأمرنا بطلب العلم من المهد إلى اللحد، وحتى نهاية العمر". ويقول: "إن" الوسائل السريعة سهلت الحياة، ووفرت الجهد والوقت. فقد يماً كان علماؤنا يتجلّسون عناء السفر من أجل توثيق صحة حديث أو معلومة، ويفذلون من الجهد والوقت والمعاناة الكثير. أمّا الآن ففي إمكان الباحث أن يحصل على أي معلومة ولو كانت في أقصى الدنيا من خلال محرك البحث".

- ابن الأرض والماء:

علاقة "غير ودية" تلك التي تربط بين التقنولوجيا الأديب علي أبو الريش (65 سنة). وذلك بحسب إعترافه، حيث إنّه يقول: "لا علاقة تربطني بالكمبيوتر، لأنني ما زلت مرتبطةً بأدواتي القديمة من الورقة والقلم في كتاباتي، لانتماء الورقة إلى الشجرة، وإنتماء الحبر إلى كائن بحري قديم". ويضيف: "أنا أعتبر نفسي ابن الأرض وابن الماء، ومن الصعب أن أنتقل بشكل مبالغ في التعامل مع أجهزة تقنولوجية جامدة لا أشعر بها بالدفء ولا بعلاقة حميمة. ولذلك، أنا غريب على التقنولوجيا". ويؤكد أبو الريش أنّ "هذا لا يسلب التقنولوجيا فضلها في تقديم خدمات رائعة للإنسان"، لافتاً إلى أن "استخدامي لها في حدود المتابعة الإخبارية، والبحث عن مواد علمية. أمّا الـ"فيس بوك" و"تويتر" وغيرها، فهي عوالم وهمية مصطنعة لم أقترب منها". ويوضح أبو الريش أنّه تعلم استخدام الكمبيوتر "بعد أن تعرضت لموقف أثناء وجودي في منطقة نائية وتعذر علي" متابعة الأخبار، وكانت وقتها رئيساً لتحرير صحيفة "الاتحاد"، فاستعنت يومها بأحد الشباب، لأنّه من متابعة الأخبار عبر الإنترنط، مشيراً إلى أنّ "الإنسان، عندما يجهل الشيء، يشعر نحوه بالضيق والضجر، وعندما يتعلم يشعر بقيمه". ويقول: "أنا دائمًا أوصي أبنيائي بأن يقتربوا من التقنولوجيا، لأنّها لغة عصرهم، وفي عدم إتقانهم لها خسارة كبيرة"، مشيراً إلى أنّ الـ"آي فون" أفاده كتقنية جديدة في البحث عن مواد علمية مهمة، وإن كان يضايقه "النصرف الناس إليه وإنشغالهم به إلى درجة أنّهم أصبحوا يعيشون في عوالم افتراضية قطعت العلاقات البشرية الواقعية".

- التعليم في الكبير:

"لقد محت التقنولوجيا فكرة أن" التعليم في الكبير كالنقش على الماء" بعد أن تعلّمها الكثيرون من كبار السن، يقول أستاذ اللغة العربية في "جامعة العين للعلوم والتكنولوجيا" الدكتور إياد عبدالمحيد، لافتاً إلى أن تعلم التقنولوجيا بالنسبة إليه "لا يدخل ضمن دائرة الإضطرار، إنما هو رغبة ومتّعة وفائدة". ويؤمن د. عبدالمحيد " بأننا مخلوقون لزمان غير زمان آبائنا، وما دمنا نعيش عصر التحولات الكبيرة والإنجارات المعرفية الهائل، ونطلع عن كل جديد في مجال التقنولوجيا، لاسيما

البرمجيات والإنتernet، فإن ذلك يحتم علينا أن نتعلمها". ويضيف: "التكنولوجيا تشكل عصب الحياة على مختلف الصعد بأقل زمن وكلفة وجهد، وهي جعلت العالم قرية صغيرة، وكسرت كل حواجز المعرفة وصارت المعلومة متاحة للجميع، ولا أعتقد أن ساحة العلم يتهميها المثقف والأستاذ والطالب، ولابد" أن ننهل من الجديد بما يطور وينمي من شخصياتنا".

ويتحدث الدكتور إياد عبدالمجيد عن تجربته مع التكنولوجيا قائلاً: "بدأت استخدامها منذ عام 2002 عندما طلب منا أن نوظفها في عملنا الأكاديمي وبحوثنا، فصارت القناة المباشرة في تلقي المعلومة أو عرضها. فنحن اليوم كأساتذة لا نستغني في التعليم عن السبورة والقلم ولوحات العرض ومعامل اللغات، ولكن أضفنا إليها الـ"باور بوينت" والـ"دادا شو" وسعينا إلى توفير الإستخدامات الجيدة لما تتطلبه العملية التربوية". ويوضح أنه يتواصل مع الطلبة من خلال موقع خاص به لحل المشكلات البحثية أو المتعلقة بمسافات يقوم بتدريسيها، حيث يتلقى المخاطبات والمشاركات عن طريق الحاسوب، ويطلع على تجارب الآخرين في الجامعات المختلفة. أمّا عن الـ"فيسبوك" وـ"تويتر"، فيقول "إنهم واجهتي اليومية، وصفحتي المهمة التي أتابع فيها المعلومات والإصدارات وأخبار الأصدقاء والعالم"، مؤكداً أنّ التعامل مع التكنولوجيا خيار طوعي بالنسبة إليّ، ولا أريد أن أكون خارج الركب". ويضيف: "نعم، أنا أسأل ابني وأبني وأصدقائي، والتحقت بالدورات التعليمية للبرامج المختلفة (ICDL)، كما أني اليوم أشارك حفيدي في لعبه السمعية والمرئية المختلفة التي يتقنها ويجيدها بمهارة وينتصر عليّ، فأكون مسؤولاً مرّتين، مرّة بانتصاره وإتقانه اللعبة، وأخرى باكتشاف أخطائني التي يعلمني إياها بعفوتيه وبراءاته".

- عالم مفید:

يختلف تجربة رجل الأعمال محمد بداه (57 عاماً) عن غيرها في مجال التعامل مع التكنولوجيا، حيث يقول: "في الحقيقة إنني أستخدم أحدث الموبايلات، وإن كنت لا أجيد التعامل مع البرامج الموجودة في جهازي، لأنّها معقدة". ويضيف: "لقد تعلمت الكمبيوتر منذ التسعينات من خلال الدورات، واستعنت في البداية بـأبنائي للدخول إلى شبكة الإنترنت، كما استفدت من معلومات زوجتي في دفع فواتير الكهرباء والماء، ومخالفات المرور، وتجديد رخصة السيارة "أون لاين".." . ويتابع: "أمّا بالنسبة إلى الهواتف المتحركة، فأنا أشتري نوعاً واحداً من الموبايلات، لأنني تعودت على البرامج والمواصفات التي يحتويها الجهاز، ولا أحبذ الـ"بلاك بيري"، لأنّه معقد". ويختتم بداه بقوله: "نحن في عصر التقنيات وعليها جميعاً أن نتعلمها ونحسن استخدامها نضراً إلى فوائدها التي ياتي بها تحصي ولا تعد".

- عالم افتراضی:

من ناحيته، يذكر الإعلامي محمود علام (65 عاماً) في إنشاء مدونة لعرض أعماله الأدبية، ويقول في هذا السياق: "إن" الإنترنت جعلني أعيش لحظة بلحظة مع الحدث، ومكنني من متابعة الصحف وكتابة التعلقيات، وهو فر علىـ" شراء الكتب". موضحاً أنـ"ه تعامل مع التكنولوجيا منذ أن ظهر كمبيوتر "صخر" باستخداماً له

البسيطة. ويقول: "إن" الكمبيوتر يحفظ الملفات، أما الورق، فإنه يبلّى ويتلف ويضيع محتوى الكتابة". يذكر "في عام 1994 حدث سيل في إمارة الفجيرة وغرقت المنطقة التي كنت أعيش فيها، وضاعت معظم كتبى وأعمالى الأدبية كما تعرضت الملفات الورقية للتلف"، لافتاً إلى أنه "لتجنب تكرار ذلك أقوم الآن بحفظ أعمالى الأدبية من أدب الأطفال في الكمبيوتر، كما أنوي عرضها في مدونة".

ويعرف محمود علام بأن "مهارة أبناءي في الكمبيوتر تفوق مهارتي، وقد علموني التواصل على الـ"فيس بوك" والـ"مسنجر"، مشيراً إلى أنّه يفضل التحدث بالهاتف لسماع صوت المتحدث، فهذا ما تعود عليه لأبناء جيله.

- التواصل العائلي:

"ال التواصل بين الناس من ضرورات الحياة"، تقول مديرية "مركز التنمية الاجتماعية" في خورفكان فاطمة المغنية، مشيرة إلى أن "التقدم في العمر، لا يمنع من استخدام التكنولوجيا، لأنّها نوع جديد من الثقافة نحصل من خلالها على المعلومات بسرعة فائقة". وتوضح: "أتواصل مع الأشخاص عبر الهاتف النقال والرسائل الإلكترونية في المناسبات والأعياد، لأنّ العلاقات الإنسانية مهمة وأحرص عليها". تضيف المغنية: "لقد حصلت على دورات في الكمبيوتر بهدف تطوير أدائي، سواء في العمل الوظيفي أم في إدارة عملني الخاص"، لافتة إلى أن "مركز تنمية خورفكان" "كان أوّل ما أدخل الكمبيوتر في إستخداماته الوظيفية، لأنّه وسيلة ضرورية لتحسين الأداء وتطوير العمل بين الموظفين وسرعة الانجاز".

على المصعيد الأسري أيضاً، نجحت فاطمة المغني في الإفادة من علاقتها بالتقنولوجيا، وهي تقول في هذا السياق: "عندما كان ابني باسم يقوم بتحضير شهادة الدكتوراه في القانون الدولي في بريطانيا، كنت أتواصل معه بالصوت والمصورة عبر شاشة الكمبيوتر، وكانت أطمئن يومياً على أخباره وإنجازاته وما حققه في دراسته".

من جهتها، ترى رئيسة قسم التصوير في مكتب "جريدة الإتحاد" في دبي صفيه إبراهيم، "أن" العمر لا يمنع المعرفة، والتقدم في السن لا يتعارض مع طلب العلم". وتقول: "لقد تعلمت الكمبيوتر، وفن تقنيات الصورة من خلال الكاميرات الرقمية، وحملت على دورات في الـ"فوتوشوب" وكل ذلك كان في سن متقدم". وتتابع: "إن عملي كمصورة، دفعني إلى التعريف إلى أحدث وسائل التكنولوجيا المرتبطة بمحال عملها، والتعامل مع الأجهزة الرقمية لمتابعة سير العمل وتحسين الأداء الوظيفي بين زملائي المصورين".

في مقابل هذا الموقف المنفتح تجاه تكنولوجيا التصوير، فإن صفية إبراهيم تتخذ موقفاً أقل حماسة حينما تطلق عليه "تكنولوجيا الثرثرة"، حيث تقول "لم أتعامل مع الـ"آي باد" والـ"بلاك بيري" ولا يوجد وقت لدى^٣ للثرثرة، وأكتفي بموبايل يسليط أتحدث من خلاله مع الأصدقاء وإرسال المسحات".

- تكنولوجيا مفيدة

وتقوا، ربة البيت حصة الملا (58 عاماً) إنَّ التقدم في العمر لم يمنعها من تعلم الالكترونيات، وتصفيق:

"لقد أتقنت استخدام الكمبيوتر بعد تقاعدي من العمل، فلم أشعر بفراغ لأن وقتني امتلاً بالصديقين اللواتي يتواصلن معي عبر الإيميل، كما أصبحت أجيد الدخول إلى موقع متعدد لتنمية هواياتي". وتتابع: "لقد أصبحت أجيد الطبخ وبخاصة الأكلات الإيطالية والحلويات الشرقية، وهذا ما جعل زوجي يشعر بالسعادة، فكل يوم أبتكر له أكلة جديدة". وتأكد الملا أنّ التكنولوجيا "لعبت دوراً مفيدةً" في حياتها على أكثر من صعيد، "بما في ذلك الصعيد الأسري"، لافتة إلى أنّه "في العام الماضي تعرضت شقيقتي التي تعيش في بريطانيا لمشكلة مع زوجها، ونجمدت العائلة أمام شاشة الكمبيوتر حتى استطعنا تهدئة النفوس وحل المشكلة".

- حكايات الجدة:

كان الخيار طوعياً عندما تعلمت ربة البيت رقية مسي (62 عاماً) التعامل مع التكنولوجيا، وهي تقول في هذا المجال: "أتحدث مع أولادي المقيمين في أميركا وأبوظبي، وأتواصل معهم بالصوت والمصورة من السودان عبر شاشة الكمبيوتر خلال برنامج التواصل الاجتماعي "سكايب". وتضيف: "في المساء أضع بجواري الـ"لاب توب" وأرعن أحفادى المقيمين في أميركا، حيث أسارهم وأحكى لهم الحكايات وأحل مشاكلهم الطفولية أثناء إنشغال أمّهم". وتشير إلى أنّ "ذلك يجعلنى وكأنني أعيش مع أحفادى بصفة دائمة". وتقول: "لقد تابعت ولادة ابنتي في أميركا لحظة بلحظة عن طريق الـ"لاب توب" وأعطيتها النصائح المطلوبة ورعايتها رعاية الأم بعد الولادة كما أني رأيت حفيدي بعد ولادته مباشرة". وترى رقية أن "أجهزة التكنولوجيا مفيدة للتواصل والإطمئنان على الأولاد، وخففت الشعور بالبعد وقصر المسافات". وتختم قائلة: "أنا أتواصل مع الجيران عندما أساور للخارج، وأتمكن من متابعة شؤون أبنائي ومنزلي بنفسي من أي مكان في العالم".

- موقع إلكتروني:

أمّا سيدة الأعمال عائشة الشامسي، التي تجاوزت الخمسين من عمرها فتقول: "لقد التحقت بدورة كمبيوتر وفكت في إنشاء موقع إلكتروني لعرض منتجاتي التي أقوم بتصنيعها من الدخون والعطور العربية، وليس هناك ما يمنع أن أستعين بأحد أبنائي عندما أريد الإطلاع على موقع تختص بالخلطات العربية للعطور". بدورها، تؤكد سيدة الأعمال عائشة النومان، أنها "من جيل شديد الارتباط بعاداته وتقاليده". وتقول: "قد يكون هذا هو السبب وراء عدم تعودي على التعامل مع التكنولوجيا، فأنا عندما أمسك بالـ"ماوس" أشعر بعدم راحة، وأفضل الكتابة بالقلم، كما أكره الـ"فيس بوك"، لأنّه ينشر الفضائح، كما أنّ الـ"بلاك بيري"، فضلاً عن تعقيداته لا يخلو من ضرر كونه يشغل الناس عن بعضهم البعض، ويأتي ذلك على حساب التواصل بين أفراد الأسرة". ولكن النومان تستدرك قائلة: "هذا لا يعني أنني أقطع هذه العوالم تماماً، ولكنني أعتمد في إنحصار المضوري منها على سكريبتاتي، فهي تقوم بإرسال الإيميلات ومتابعة بريدي الإلكتروني وغير ذلك".

- فيديو كول:

من واقع تجربته مع والدته ومحاولاته تعليمها مبادئ التعامل مع معطيات التكنولوجيا الحديثة، يقول رجل الأعمال الإماراتي محمد العنزي: "إن عادات المجتمع وتقاليده جعلت كبار السن يحجبون عن إستعمال الأجهزة التكنولوجية الحديثة ويشعرون بأنها ليست بأدواتهم التي اعتادوا عليها، إلا أن تغير معطيات الزمن بوسائله المختلفة جعل المحمول والـ"لاب توب" والـ"آي فون" والـ"آي باد" والإنترن特، ضرورة لا غنى عنها". ويضيف: "إن" كبار السن لا يرغبون في التعامل مع التكنولوجيا المعقدة، فكل ما يحتاجون إليه هو زر الإرسال والإستقبال، وهذا ما لمسته عندما علمت والدتي كيفية إستعمال الهاتف المتحرك، وقمت بحذف جميع البرامج المعقدة منه حتى تستطيع إستعماله بسهولة ويسر، وقد استغرق تعليمها ثلاثة أشهر". ويقول: "التحقت والدتي بأحد مراكز محو الأمية في أبوظبي لتعلم الأرقام والحراف حتى تمكن من كتابة اسمها بشكل صحيح، وأصبحت الآن تواصل معنا بأجهزة محمول حديثة بالصوت والمصورة من خلال برنامج "فيديو كول". ووالدي أيضاً تعلم الكمبيوتر ويدخل إلى الواقع السيارات، ويستعين بنا إذا تعذر عليه الدخول لأحد المواقع". ويشير محمد العنزي إلى أنه تبرع بعدد من الأجهزة الإلكترونية لهذا المركز حتى يمكن تدريب كبار السن على التكنولوجيا، ويتمدّى أن تعمم الفكرة في الدولة.

- مواصفات خاصة:

عن طبيعة العلاقة التي تربط هذه الجيل بالتكنولوجيا، يقول مدير العلاقات العامة في إحدى شركات الإلكترونيات عباس فرض الله إن "بعض كبار السن يتلقون بشكل جيد مع معطيات التكنولوجيا، وآخرين يجدون صعوبة في التعامل معها، خصوصاً عندما يتطلب الأمر التعامل مع أجهزة حديثة ومعقدة، مثل " بلاك بيري". ويضيف: "إن" كبار السن يتعاملون مع أجهزة لها مواصفات خاصة، لأن" التقنيات المعقدة في الأجهزة الحديثة جعلت نسبة كبيرة من كبار السن ينصرفون عنها"، كاشفاً أن "20% فقط يستعملون الـ"آي باد" والـ"آي فون"، ما حمله عدداً من الشركات المصنعة على طرح أجهزة هاتف خاصة بكبار السن ذات مواصفات خاصة على رأسها سهولة الإستخدام". مشيراً إلى ظهور هواتف محمولة "صممت خصيصاً لمن هم أكبر من 65 عاماً" ساعد على تجاوز أزمة الإحساس بالرهبة التي يجدها بعض كبار السن عند التفكير في التعامل مع التكنولوجيا للوهلة الأولى". ويقول: "إن" مطالب المسنين تتمثل في شاشة ولوحة مفاتيح كبيرتين، وقائمة سهلة للإستخدام غير مزودة بكاميرات رقمية أو إتصال بالإنترن特"، لافتاً إلى أن "كثيراً" من الأجهزة الحديثة تحتوي على زر خاص للإتصال بالأقارب والأصدقاء في الحالات الطارئة، كما يمكنها العمل بواسطة بطاريات تقليدية وتتوافق كذلك مع سماعات الأذن الخاصة بالمسنين".

وحول تجربته الشخصية مع والدته، يقول فرض الله: "طلبت والدتي المسنة "موبايل" كي تتواصل معنا، وهي في الوقت ذاته لا تعرف القراءة ولا الأرقام". ويضيف "أخذت لها هاتفاً بأزرار وشاشة كبيرة حتى تستطيع التعامل معه، وقمت أنا وأخواتي بتدريبها على إستخدامه وبمساعدة على حفظ الأرقام، وحفظ شكل الحروف الأبجدية حتى عرفت كيف ترسل وتستقبل وتحدد صاحب الرقم الذي يطلبها".

- الحاجز النفسي:

"الرهبة والخوف عاملان يمنعان كبار السن من التعامل مع التكنولوجيا"، يقول الإستشاري النفسي الدكتور حسين علي رضا، لافتاً إلى أن "القدرات العقلية للإنسان تتراجع كلما تقدم في العمر، ويصحبها تراجع في القدرة على التركيز والتذكر وهذه مسألة طبيعية بيولوجية". ويضيف أن "العائق الوحيد الذي يحول بين تعامل كبار السن مع التكنولوجيا، يكمن في الناحية النفسية والتعود على أمور معينة، فالطفل يستطيع إستيعاب أكثر من لغة في وقت واحد، لأن قدراته العقلية قادرة على التخزين، وكذلك الشاب يكتسب معلومات جديدة، أمّا المسن عندما يكبر، فيمتلك محتوى عقليه بما تم تخزينه ويحتاج إلى مجهود ذهني لاستيعاب معلومات جديدة، ولذلك نراه يتراجع ويتعامل فقط مع المتعارف عليه". ويشير إلى أن "هناك أشخاصاً لديهم قابلية ورغبة في التعلم والإطلاع، فنجدهم يدرّبون عقولهم على أمور كثيرة ويتزودون بالدورات العلمية حتى تصبح عقولهم مستقبلة للمعلومات وأقدر على التعلم". ويقول: "إن المسن تقل قدرته على الإستيعاب، وأي معلومة جديدة يستقبلها قد تمحو ما قبلها، لأنّه لم تكن لديه المقدرة على الإحتفاظ بها لفترة طويلة. ولذلك، يعتمد كبار السن على أدوات مساندة ويكتبون على قصاصات ورقية أو مفكرة للتذكير". ويوضح أن "عدم القدرة على تعلم التكنولوجيا، قد يجعل المسن يشعر بالخوف من الفشل، فإذا كانت من متطلبات الحياة والوظيفة دفعه ذلك إلى أن يتعلمها لكن ببطء".